

التراث الشعري هو الأقدار على تمثيل الروح العربية

المستعرب البولوني مارك إم. جيكان: الأدب العربي أثر في الأدب البولوني منذ القرن 17



مارك إم. جيكان: الشعر العربي أكثر تمثيلاً لروح الثقافة العربية من كتاب ألف ليلة وليلة

أوستافين وبشيميسوف تورك في بولونيا آدم ميتسكيفيتش (ترجم عن الفرنسية الشنفرى والمنتبني). فاصبحت الحرية التي يشقها إليها البولونيون تساوي حرية الصعاليك العرب في شبه الجزيرة العربية.

وبعد قرن ونصف تقريباً كتب الشاعر إنجي فاشكسيفيتش قصيدة طويلة "المريد 7" التي يربط فيها الشاعر صور العراق زمن الحرب العراقية الإيرانية بما كان يتذكره من صور وارسو بعد انقلاب سنة 1944 ضد الألمان النازيين.

وهذه القصيدة اعتبرها شخصياً أهم إنجاز أدبي يعكس تفاعلاً بين عالمين وفي أعمال سلوفاديسكي (إلى جانب القصيدة المذكورة سابقاً "الرحلة من نابولي إلى الأرض المقدسة" و"يوميات من الرحلة إلى الشرق" نقرأ) وميتسكيفيتش من القرن 19.

أثر الأدب العربي في البولونيين

● **الجديد:** ما هو نصيب الشعر العربي من الحضور في اللغة البولونية، أعني الشعر بصورة عامة قديماً وحديثاً؟

■ **جيكان:** ذكرت فيما قلت سابقاً بعض أسماء الشعراء البولونيين الذين تأثروا بشكل أو بآخر بجو الثقافة العربية، واعتقد أنها أهم الإنجازات في هذا المجال. وذكرت أيضاً كتاب ألف ليلة وليلة.

ترجم كتاب ألف ليلة وليلة إلى اللغة البولندية لأول مرة في نهاية القرن 18 ومباشرة من العربية في سنة 1973 وقامت بالترجمة مجموعة من المستشرقين من كراكوف ووارسو برئاسة تاديوش ليفيتسكي. وأصبح هذا الكتاب المصدر الأول للشعراء والأدباء للرموز والقصص والصور الشرقية. فكان الأدباء يأخذون بعض الرموز وأبطال ألف ليلة وليلة ويستلهمونها في أعمالهم. ونجد هذه الرموز والأبطال في أدبنا منذ القرن 17 تقريباً إلى يومنا هذا.

ومن استنفاذ -شعرا ونثراً- من التراث العربي في القرن 20 مثلاً: ياروسلاف أفاشكيفيتش (قصيدة نثر "العودة إلى بغداد")، بوليسوف ليشيمان "قصص سمس"، "مغامرات السندباد البحري"، ماريا بافليكوفسكا-ياسنوجيفسكا، كورنيل ماكوشينسكي (مجموعة قصص "المغامرات العربية"، يوزيف لوبودوفسكي (ديوان "القصائد والغزليات")، يانوش ماکارتشيك (الرواية "جعفر من بغداد")، هنريك شينيكيفيتش (الرواية "في الصحراء وفي الغابة").

● **الجديد:** من موقعكم كمطلع على الشعر العربي، والثقافة المحيطة به، هل ثمة ما هو مشترك في التقليد الشعرية العربية والتقاليد الشعرية البولونية؟

■ **جيكان:** للوقوف على العناصر المشتركة بين الشعر العربي والشعر البولوني من الضروري أن نرجع إلى الاستشراق الأدبي البولوني في القرن التاسع عشر. كما ذكرت أنفا كانت بولونيا في هذا العصر مقسمة بين القوى الأوروبية الكبرى، وكان البولونيون يشقون إلى الحرية. لهذا السبب أصبح الفارس العربي الحر رمزاً لطموحات الشعب البولوني.

لذلك نجد مثلاً الشنفرى في شعر سلوفاتسكي المذكور (مثلاً قصائد

أوستافين وبشيميسوف تورك في بولونيا آدم ميتسكيفيتش (ترجم عن الفرنسية الشنفرى والمنتبني). فاصبحت الحرية التي يشقها إليها البولونيون تساوي حرية الصعاليك العرب في شبه الجزيرة العربية.

الأدب العربي يعيون غربية

● **الجديد:** ما هي الوضعية التي يشغلها الشعر العربي القديم بين كلاسكيات الآداب التي أنجزتها الأمم الأخرى، وعندما يحضر ما العلامة التي يجرحها في أزمئة القراءة، وما الأثر الذي يتركه.

■ **جيكان:** كل أمة تبحث عن سبيل لتجعل من تراثها الثقافي مؤثراً في الحضارة العالمية. وكل أمة لها مجموعة من الإنجازات الحضارية التي هي في نظرها أهم من غيرها. وأحياناً هناك تناقض بين آراء هذه الأمة وراي العالم فيها. فبصراحة في عيون الغرب أهم إنجازات أدبية للحضارة العربية هو كتاب "ألف ليلة وليلة" وليس شعر المتنبي أو أبي العلاء المعري.

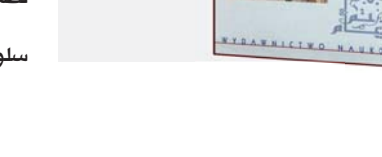
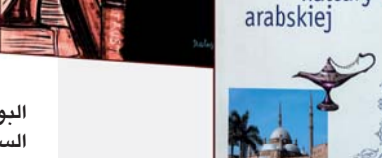
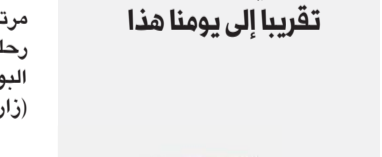
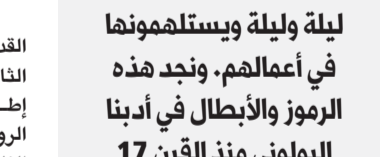
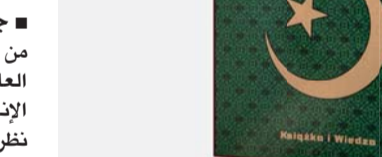
يؤمنني هذا الواقع كثيراً ولكن هذه هي الحقيقة المرة. شهرزاد وشهريار أو سندباد البحري هم الذين أصبحوا رمزاً للأدب العربي في الغرب، وهم الذين شكلوا رأي الغرب في الشرق العربي منذ القرن الثامن عشر وربما حتى الآن.

يمكن القول بدور الشعر العربي القديم في الثقافة الغربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في إطار التيار الاستشراقي في الأدب الرومنطقي، ولكن في الحقيقة أن هذه الظاهرة كانت هامشية وقصيرة الحياة، مرتبطة بالرحلات الرومنطيقية ومنها رحلة إلى الشرق التي قام بها الشعراء البولوني الكبير يوليوش سلوفاتسكس (زار لبنان، فلسطين، سوريا ومصر، في الفترة ما بين 1836 و 1837).

عرب وبولونيون

● **الجديد:** من موقعكم كمطلع على الشعر العربي، والثقافة المحيطة به، هل ثمة ما هو مشترك في التقليد الشعرية العربية والتقاليد الشعرية البولونية؟

■ **جيكان:** للوقوف على العناصر المشتركة بين الشعر العربي والشعر البولوني من الضروري أن نرجع إلى الاستشراق الأدبي البولوني في القرن التاسع عشر. كما ذكرت أنفا كانت بولونيا في هذا العصر مقسمة بين القوى الأوروبية الكبرى، وكان البولونيون يشقون إلى الحرية. لهذا السبب أصبح الفارس العربي الحر رمزاً لطموحات الشعب البولوني.



المتواضع لبدي في السياسة العالمية. والغريب بالنسبة إلى أن العرب يحتفون قبل كل شيء بثقافات مستعمرهم السابقين (أقصد بريطانيا، فرنسا وأميركا) ولا يهتمون بالثقافات الأخرى ومنها البولندية والألمانية أيضاً الشعرية العربية القديمة؟

الشعر والمستشرقون

● **الجديد:** أنت متخصص في الشعر العربي القديم على ما أظن؟ ما الذي حملك على تعلم اللغة العربية والخوض في الثقافة الشعرية العربية القديمة؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى ما الذي اكتشفته شخصياً في هذا الشعر، ما هي الميزات التي يتوفر عليها ولا يتوفر عليها شعر أمة أخرى؟

■ **جيكان:** بدأ اهتمامي بالثقافة العربية عامة من خلال اطلاعي على ترجمة المعلقات السبع الجاهليات التي صدرت باللغة البولندية في بداية ثمانينات القرن الماضي. اكتشفت في هذا الشعر وأنا مهتم بالشعر بشكل عام وأيضا شاعر شاب في ذاك الوقت- عالماً جديداً لم أتوقع وجوده. الصور الفنية الجديدة والاستعارات الجديدة وبعض معلومات عن واقع العالم العربي في ذاك الوقت والتي شرحها المترجم وهو الأستاذ يانوش دانتسكي لبلي في مآهات الثقافة العربية في المستقبل.

انطواء ثقافي

● **الجديد:** هل توافق على التوصيف الذي يقول إن الوضعية الثقافية لبولونيا تبدو وضعية منعزلة أو منكمشة على نفسها بعض الشيء، قياساً إلى الانفتاح الذي يميز الثقافات الأوروبية الأخرى، لاسيما الفرنسية والألمانية والإنجليزية، وهل ترد ذلك، لو صح، إلى تاريخ مضطرب وعصيب وربما يمكن وصفه بالمأساوي لبولونيا، كيف تستقبل الثقافة العربية أو المعروف منها في مجتمع الثقافة البولونية في ظل وضع كهذا؟

■ **جيكان:** نعم هو بلد منعزل على نفسه بعض الشيء وأهم الأسباب لهذا "الانعزال" كما وصفت وضع ثقافتنا، هو اللغة. ولكن في رأيي أن الانعزال هذا قائم من نقطة النظر العربية وليس العالمية، فمثلاً بين فائزي جائزة نوبل في الأدب هناك 4 كتاب بولونيين، فماد نقول بالمقارنة بالأدب العربي وهو أقدم وأكبر؟ ولكن في البلاد العربية هناك حقيقة وجود عدم اهتمام بثقافتنا. وأنا ميخائيل-بيكولسكا، باربارا

هذا. بعد كراكوف أسس زيغومونت سموجوجيفسكي في سنة 1924 معهد الاستشراق في جامعة لفوف (حالياً في أوكرانيا). وفي سنة 1932 تم إنشاء معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو، ولكن دون الدراسات العربية التي تأسست في سنة 1958 على يد يوزف بيلافسكي. وحالياً قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو هو أكبر المراكز العلمية في هذا المجال في بلدي.

تشمل البحوث العربية في بولونيا كل مظاهر الحضارة العربية منها اللغة العربية والتاريخ والإسلام والأدب والفن، وإلى جانب وارسو وكراكوف هناك عدد من المراكز الصغيرة في مجال الدراسات العربية في كل من بوزنان، ووج، تورون وبيدغوش. والدراسات الشرقية في بولونيا تختلف عن الدراسات في هذا المجال في البلاد الغربية بعدم وجود خلفيات سياسية. فبولونيا بلد صغير وليس له تاريخ استعماري، ويأتي الاهتمام بالشرق عندها من الرغبة العلمية البحتة، ولا تقصد دراساتنا التأثيرات السياسية على الشرق عريباً كان أو هندياً أو غيره.

انطواء ثقافي

● **الجديد:** هل توافق على التوصيف الذي يقول إن الوضعية الثقافية لبولونيا تبدو وضعية منعزلة أو منكمشة على نفسها بعض الشيء، قياساً إلى الانفتاح الذي يميز الثقافات الأوروبية الأخرى، لاسيما الفرنسية والألمانية والإنجليزية، وهل ترد ذلك، لو صح، إلى تاريخ مضطرب وعصيب وربما يمكن وصفه بالمأساوي لبولونيا، كيف تستقبل الثقافة العربية أو المعروف منها في مجتمع الثقافة البولونية في ظل وضع كهذا؟

■ **جيكان:** نعم هو بلد منعزل على نفسه بعض الشيء وأهم الأسباب لهذا "الانعزال" كما وصفت وضع ثقافتنا، هو اللغة. ولكن في رأيي أن الانعزال هذا قائم من نقطة النظر العربية وليس العالمية، فمثلاً بين فائزي جائزة نوبل في الأدب هناك 4 كتاب بولونيين، فماد نقول بالمقارنة بالأدب العربي وهو أقدم وأكبر؟ ولكن في البلاد العربية هناك حقيقة وجود عدم اهتمام بثقافتنا. وأنا ميخائيل-بيكولسكا، باربارا



خلود شرف
كاتبة سورية مقيمة في بولونيا

يصلح هذا الحوار مع البروفيسور جيكان إلى أن يكون مدخلاً تعريفياً ممتازاً لصورة الأدب العربي قديماً وحديثاً في مرآة الثقافة البولونية. وهو يقدم لقارئ العربية معلومات تسمح بتكوين فكرة ممتازة عن طبيعة الاستشراق البولوني ومدى اختلافه عن الاستشراق في أوروبا الغربية. كما ويعطي فكرة عن الاهتمامات الأدبية المعاصرة لهذا الاستشراق، من خلال النماذج التي قام المترجمون البولونيون باختيارها من الأدب العربي الحديث وتقديمها لقراء البولونية.

● **الجديد:** بداية هل لك أن نطعننا فكرة عن تاريخ الاستشراق البولوني، لاسيما الدراسات والدارسين للثقافة العربية من بين الثقافات الشرقية، بم يتميز عن الاستشراق الأوروبي الغربي والاستشراق الروسي، وأنت اسم لأمع في هذا المجال؟

■ **جيكان:** يرجع تاريخ الاستشراق البولوني بمعناه العلمي إلى القرن التاسع عشر، وبولونيا لم تكن موجودة في خريطة العالم لأنها كانت مقسمة بين القوى السياسية الأوروبية العظمى وهي روسيا وبروسيا والنمسا. رغم ذلك كانت هناك مجموعة من الناس الذين اهتموا بالشرق العربي الإسلامي، وأهم المراكز العلمية في مجال الاستشراق كانت انذاك جامعة فيلنيوس (حالياً في لتوانيا). هناك اشتغل المؤرخ يواخيم ليفيل الذي شجع بعض طلابه على التعمق في الثقافات الشرقية، ومنها العربية. بسبب عدم وجود بولونيا كدولة مستقلة انذاك فإن عدداً من المستشرقين البولونيين في ذلك القرن اشتغلوا في الجامعات الأوروبية المختلفة منها الروسية والألمانية والفرنسية والنمساوية، وهم ساهموا في بناء الاستشراق في هذه البلدان.

استقلت بولونيا في سنة 1918. ومن هذه النقطة يمكن أن نتحدث عن الاستشراق البولوني المعاصر. وأب الدراسات العربية في بلدنا هو تاديوش كوفالسكي، مؤسس قسم الاستشراق في جامعة ياغيلونسكي في كراكوف عام 1919. والمركز هذا قائم إلى يومنا

هذا. بعد كراكوف أسس زيغومونت سموجوجيفسكي في سنة 1924 معهد الاستشراق في جامعة لفوف (حالياً في أوكرانيا). وفي سنة 1932 تم إنشاء معهد الدراسات الشرقية في جامعة وارسو، ولكن دون الدراسات العربية التي تأسست في سنة 1958 على يد يوزف بيلافسكي. وحالياً قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة وارسو هو أكبر المراكز العلمية في هذا المجال في بلدي.

تشمل البحوث العربية في بولونيا كل مظاهر الحضارة العربية منها اللغة العربية والتاريخ والإسلام والأدب والفن، وإلى جانب وارسو وكراكوف هناك عدد من المراكز الصغيرة في مجال الدراسات العربية في كل من بوزنان، ووج، تورون وبيدغوش. والدراسات الشرقية في بولونيا تختلف عن الدراسات في هذا المجال في البلاد الغربية بعدم وجود خلفيات سياسية. فبولونيا بلد صغير وليس له تاريخ استعماري، ويأتي الاهتمام بالشرق عندها من الرغبة العلمية البحتة، ولا تقصد دراساتنا التأثيرات السياسية على الشرق عريباً كان أو هندياً أو غيره.